على ان طبيعة المهمات الموكلة للنظام الايراني في البداية ، والتي اخذ على نفسه القيام بها حين تلمس عمق الازمة التي يعاني منها النظام الرأسمالي والتي جعلته عاجزا عن حماية مصالحه بشكل مباشر ، كما كانت الحال عليه حتى منتصف الستينات ، هذه الطبيعة جعلته اقرب الى جناح المجمع الصناعي العسكري داخل النظام الامريكي ، وبالتالي اندفاعه للدفاع عنه والتحالف معه ، سواء على الصعيد الداخلي حيث لم يعد سرا ذلك الدعم الذي قدمه الشاه سواء من اجل تطوير الصناعة العسكرية الامريكية ، او خلال الانتخابات الاخيرة ، أو على الصعيد الداخلي ، حيث كان ينفذ الاستراتيجية الامريكية سواء في شبه القارة الهندية ، او في المحيط الهندي ، حيث كان يرسم سياسته وفقا لمبدأ « غوام » الذي عرف بمبدأ نيكسون والقائل « دع الاسيويين يقتلون الاسيويين » .

وبالنسبة للشاه فان هذا لا يعني تعزيز موقعه في خارطة التحالفات الرأسمالية ، وانما يطلق يده للتدخل في الشؤون الداخلية للامارات والمشايخ الخليجية ، وهذا ما يتفق واطماعه التوسعية ، ويحقق احلام الامبراطورية الفارسية في السيطرة على ضفتي الخليج وتهيمن على مقدرات الامور في هذه المنطقة الاستراتيجية ، والممر الحيوي .

وهكذا وجدنا الشاه تحت تبريرات واهية ، وادعاءات غير منطقية يتحدث عن دوره في حماية مضائق النفط وممراته ، والذي يعتبره رسالة دولية يرسل قواته لتقف الى جانب المرتزقة البريطانيين ، ولتساهم في الحرب العدوانية التي يشنها قابوس ضد الشعب العماني وثورته الباسلة بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير عمان ، وقد تطور هذا الدور ، واتسع ذلك الاسهام فاصبحت القوات الايرانية هي القطاع الرئيسي هناك ، وتكاد آن تستلم قيادة المعارك ، ورسم الاستراتيجية العسكرية العدوانية .

ان هذه الخطوة ، لم تستقز الرأي العالمي ، الذي شجبها فقط ، بل اثارت مخاوف انظمة رجعية اخرى مثل السعودية التي وجدت في وصول القوات الايرانية الى هذه المواقع تجاوزا لدائرة مسؤوليتها ، وتهديدا مباشرا لها .

هذا التناغم والانسجام بين الاستراتيجية الامريكية والسياسيه الايرانية يوثق العلاقة بين الطرفين ، ويعمق منها ، لكن في الوقت ذاته يجعل ايران وهي الطرف الاضعف في التحالف - العلاقه ، ويعرضها بشكل اكبر واسرع الى التقاط جراثيم الامراض التي تنخر جسم الامبريالية ، ومن ثم تتأثر حتى بصراع الاجنحة داخل المعسكر الواحد ، بل وحتى بصراعها داخل النظام السياسي الواحد ، وهذا ما نلمسه في المجتمع الايراني الذي زادت معدلات التضخم فيه خلال الخمس السنوات الاخيرة على تلك التي عرفتها الولايات المتحدة على سبيل المثال ، بما ان قدرته على معالجتها اقل ، فان تأثيراتها كانت اكثر قسوة وحدة .

زاد من سوء ذلك انعكاس صراع الاجنحة المختلفه داخل الولايات المتحدة واضطرار الشاه بحكم العلاقة التي تربطه بالجناح الصناعي العسكري الى خوض صراع يفوقه قدرة ، ويجري على ساحة لا يعرفها جيدا او بين قوى تأثر بها يفوق تأثيره عليها ، وهذا ما ترك اثاره على الخارطة الاجتماعية الايرانية ، وخاصة في قطاع الرأسماليين الايرانيين ، وبالذات القطاع الكومبرادوري منهم التي تشكل الاسرة الحاكمة نسبة عالية منها ، ولذلك يمكن تقسيم الرأسماليين الايرانيين بشكل اساسي الى جناحين .

١ - قطاع البيروقراطية - العسكرية

يتبلور هذا القطاع بشكل اساسي في حزب « رستاخيز » الحاكم ، وتقوده الاسرة الحاكمة بوصفها اقوى الاجنحة فيه ، وصاحبة النفوذ السياسي المرتكز على ثقل اقتصادي - مالي المستمد اساسا من الثروة النفطية التي تغذي هذا القطاع وتساعد على نموه ، وهذا ما يجعل تحالفه اقوى من الائتلاف الصناعي العسكري مع الاحتكارات النفطية ، وهذا في الوقت ذاته يفسر ذلك التصدع النسبي الطفيف الذي عرفته

الشاه : الرمز الايراني
للائتلاف النفطي - العسكري

العلاقات الامريكية - الايرانية في بداية مجيء كارتر الى سدة الحكم ، والتي انتهت بنوع من المساومة ، كان الثمن الذي دفعه الشاه حينها ضمان عدم رفع اسعار النفط طيلة عام ١٩٧٨ ، مقابل الموافقة على صفقة السلاح التي تلكأت في الكونغرس

٢ - القطاع الخاص

يشمل القطاع تلك الفئات من الرأسمالية التي لم تتحد عضويا مع القطاع الاول ، ورفضت - من منطلقات تنافسية محدودة - الاشتراك في السياسة التي يسير عليها الشاه ، وخاصة على الصعيد الاقتصادي ، وراهنت كثيرا على فوز كارتر وتأثير ذلك على الاوضاع داخل ايران في الطبقة ذاتها ، وهذا القطاع على الرغم من امتلاكه لرأس مال هائل ، لكن عدم مشاركته بفعالية في السلطة السياسية ، وحرمانها من المساهمة الفعلية في رسم السياسات ووضع البرامج واتخاذ القرارات قلصت من الحيز الحقيقي الذي يفترض ان يحتله ، ونقلته الى مواقع المعارضة في بعض الفترات ، وبالقدر ذاته حرمته من الحصول على بعض الامتيازات السياسية والاقتصادية ، وخاصة في القطاع النفطي .

والطبيعة الفاشية المستمدة جذورها من الاستبداد الشرقي التي يتمتع بها نظام الشاه تجعله يستأثر بالنسبة الاعلى من المداخيل - خاصة النفطية - ويصر على ان يمسك بين يديه بأهم المشروعات واكثرها حيوية وربحا ، ويحرص على ان يسير ذلك بما يخدم مصالح الائتلاف الامريكي المتحالف معه (نفطي + صناعة عسكرية) ، لذلك فالى جانب الاتفاقيات النفطية التي لا تزال تحرم ايران من استرداد حقوقها كاملة في هذا القطاع ، هناك المصروفات الهائلة المخصصة لموازنات الدفاع وشراء الاسلحة ، والتي تكشفها الارقام .

لقد بلغت الميزانية العسكرية الايرانية لسنة ٧٤ - ٧٥ حوالى (٧٨٠٠) مليون دولار ، وهي تعادل ٩،٤٪ بالمئة من مجمل نفقات الميزانية العامة ، وقد ارتفع هذا الرقم خلال سنة ١٩٧٦ ليصل الى (٨٠٠٠) مليون دولار ، حافظ النظام عليها في موازنة ١٩٧٨ . يضاف الى ذلك تكاليف القواعد العديدة التي يقيمها الشاه ، وتنتشر بشكل مكثف عبر الشاطىء الايراني المطل على الخليج العربي ، والتي بلغت تكاليف احدها حوالي (٦٠٠) مليون دولار . الى جانب هذا هناك ما يزيد على ٣٥ الف خبير اميركي ، يتوقع ان يصل عددهم في منتصف الثمانينات الى (١٥٠) الف خبير معظمهم سيكون في ايران ، ويصل راتب الخبير الواحد منهم حاليا ما يقرب من ١٢ الف دولار شهريا .

هذا الاستنزاف لموارد البلاد لصالح التحالف الايراني مع الائتلاف الاميركي كان له دوره في تدهور الحركة الاقتصادية في ايران حيث اضطرت الحكومة في الاونة الاخيرة الى تقنين استخدام الكهرباء - ايران بلد مصدر للغاز - الى درجة ان ٥٠ مصنعا اغلقت ابوابها ، وعشرات اخرى قلصت ايام العمل الى ثلاثة ايام في الاسبوع فقط ، كذلك تفاقمت ازمة السكن وخاصة في المدن او الضواحي المحيطة بطهران العاصمة ، والمعروفة بأحزمة البؤس ، مما ادى الى صدامات مسلحة بين السكان واجهزة قمع الدولة . وامتدت الازمة لتشمل القطاع الزراعي ، حيث باتت ايران لا تفي الا بنسبة ضئيلة من الاحتياجات الغذائية الداخلية ، وما بقي فهو مستورد . وحسب تقديرات رئيس الوزراء فان الانتاج المحلي يسد حاجة ٧ بالمئة من السكان فقط . وحسب ارقام الخطة الخمسية فان المنتوج الزراعي سيغطي ٣٠ بالمئة اذا ما استمر الايرانيون يتزايدون بالمعدلات الراهنة .

وجاءت الحلول المطروحة شبه عشوائية وعرجاء ، فقد اممت المراعي ، وحولت بعض المحاصيل الى زراعات صناعية (قصب السكر - الشمندر) ، وهذا بدوره ادى الى افلاس الرعاة ، وتدهور احوال المزارعين الصغار مما قاد الى هجرات كثيفة من الارياف الى المدن - خاصة الصناعية منها - ضاعفت من جيش اليد العاملة الاحتياطية .

وقد بنى النظام تصوراته حين رسم الخطة الخمسية على الارتفاع المطرد في الطلب على النفط ، ومن ثم اسعاره ، لكن التطورات التي عرفتها الساحة النفطية خلال عامي ٧٦ - ٧٧ ، والتي حالت دون ارتفاع الاسعار بالمعدلات المتوقعة ، واصرار نظام الشاه على الاستمرار في بناء المؤسسات القمعية وخاصة الجيش بذات الموازنات الموضوعة ادى الى تدهور رهيب في الحياة الاقتصادية الايرانية وصفها احد المراقبين بأنها خراب استثماري كبير ، وهذا ما نلمسه حين نرى ان هناك نقص ماس في الهياكل التحتية الاساسية لتطور الصناعة ونمو الاقتصاد ، يأخذ اشكالا متعددة ، لعل ابرزها العجز في عدد المصانع المطلوبة ، والتخلف في اقامة الطرق وخطوط المواصلات الاخرى الضرورية ، وتعذر توفر اليد العاملة الفنية وبالحجم المطلوب ، او عدم قدرة القطاعات الصناعية على استيعاب ما هو متوفر منها بالطاقة القصوى . كل هذا وبذخ النظام مستمر في التسلح وفي الصرف على المشروعات غير المنتجة ذات العلاقة بتقوية المؤسسات القمعية .

هذا الانحدار السريع كان كافيا لاثارة الصراعات داخل الطبقة البرجوازية ، وبين شرائحها واجنحتها المختلفة ، فوجدنا احدها وهو ذو النزعة الليبيرالية ، والمرتبط اقتصاديا بالجناح الصناعي غير العسكري في الولايات المتحدة ، يحاول الاستفادة من الوضع والعوامل الداخلية ، ويستثمر فوز كارتر كممثل لذلك الاحتكار ، فيشرع في دفع ممثلين من المثقفين والادباء الى توجيه رسائل مفتوحة الى الشاه يعبرون فيها عن استيائهم لحالة القمع التي تسود البلاد ، والازمة التي تعيشها ، و (يناشدونه) فيها باطلاق الحريات الشخصية ، وحل نظام الحزب الواحد واستبداله بنظام تعدد الاحزاب ، وما شابهها من المطاليب الديمقراطية في اطار الدستور الملكي .

لكن المعارضة من داخل الطبقة لم تستطع ان تحتكر لنفسها خوض الصراع ، حيث دخلته اطراف من الطبقات الشعبية والمسحوقة ، وبعض شرائح البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ، وعبروا عن ذلك ليس في اطار المناشدة ، وانما الصدام مع اجهزة قمع النظام ومؤسساته الارهابية ، وهذا ما جعل كارتر ذاته يغض الطرف حين تشدقه بالدفاع عن الحريات عما يجري داخل ايران ، حيث انه اكتشف ان طبيعة الصراع وحدته لم تعد تسمح للشاه باي هامش من المناورة ، وتضعه امام خيارات صعبة ، اما فتح الباب امام الجماهير ، واما الاستمرار في سياسة الحديد والنار ، وهذا الاخير هو الذي وقع اختياره عليه .

سشاه ايران :

بانتظار ذكرى الاربعين التالية..

استمرت الاضطرابات في ايران طوال الاسبوع الماضي . فقد جرت اشتباكات بين المتظاهرين وقوات السلطة القمعية، في عدة مدن ايرانية ، خاصة في الاهواز وتبريز . ورغم ان السلطات لم تعترف بعدد الاصابات التي وقعت خلال الاسبوع فقد اعلنت صحيفة « كايهان » انه تم القاء القبض على ٣٦٢ شخصا من المتظاهرين في طهران ، خلال الاحداث التي تجددت اخيرا ، كما تم اغلاق الجامعات في المدن الايرانية . وهذه الاجراءات ، واستمرار الاضطرابات ، كانت ردا كافيا لدحض ما كان الشاه قد قاله في الشهر الماضي ، عندما استخف بهذا التحرك الجماهيري المنتظم ووصفه بانه « غير مهم » .

ان الاحساس بخطورة الوضع في البلاد ، الذي يسود الاوساط الحاكمة ، يعكس الاهمية الكبيرة لما يجري في الشارع الايراني منذ بداية العام . لقد حدد الشاه موعد زيارتيه الرسميتين لكل من بلغاريا ورومانيا ، مراهنا على انه قادر على وضع حد وبسرعة ، للانتفاضة الجماهيرية التي تقودها قوى المعارضة ، ضد نظام حكمه ، وهو عندما ادعى في الشهر الماضي ، بان ما يجري « غير مهم » لم يكن يدري بانه سيضطر امام استمرار الانتفاضة في انفجاراتها المنتظمة ، الى تأجيل الزيارتين .

لقد اعلن ناطق البلاط الشاهنشاهي بان تأجيل الزيارتين يعود الى كون الشاه يعاني من « الرشح » (!) - ولكن هذا لم يمنع مساعدو الشاه من الاعتراف في الكواليس ، بان الشاه يدرك ان الوضع من الخطورة بحيث يتطلب اهتمامه الكامل ... والواقع ان الشاه كان يقود شخصيا ، قواته الخاصة بقمع الاضطرابات ، وذلك من مركز خاص للعمليات ، بحسب ما ذكرته مجلة « نيوزويك » الاميركية . بل انه كان يتوقع تجدد الانتفاضة بعد مرور ٤٠ يوما ، في كون دباباته وعرباته المصفحة وجنوده ، كانوا ينتظرون خروج المتظاهرين من الجامع في قلب طهران ، من حيث انطلقت الانتفاضة الاخيرة .

وبسقوط المزيد من الضحايا من المتظاهرين ، خلال الاحداث الاخيرة ، فان الشاه يدرك منذ الان ، بان عليه آن يتوقع تجدد الانتفاضات ، في حال سكونها خلال الايام القادمة ، وذلك بعد مرور اربعين يوما ، على الذكرى التقليدية للصلاة عن ارواح الشهداء . ويتفق المراقبون على ان الشاه لن يستطيع تجنب المزيد من الاضطرابات والنشاطات المعادية لنظام حكمه بعد مرور فترة الاربعين يوما الاخرى ،وبينما يرى بعضهم آن عليه اتخاذ خطوات محسوسة بالاتجاه الليبرالي ، او الاتجاه الاقل قمعية اذا كان لا يريد للخطر ان يكبر ، على نظام حكمه ، فان اخرين يرون بانه قد يتخذ من هذه الاضطرابات حجة لتشديد قبضة النظام القمعية . ومع ذلك فان المراقبين هؤلاء يتفقون على نقطتين : آن فرصة الشاه للاختيار قصيرة جدا ، واصبحت اقل بكثير عن ٤٠ يوما . وان نظام حكم الشاه ، يواجه اخطر مجابهة وتحد لحكمه الاستبدادي ، منذ ١٥ عاما .

انتفاضة الجماهير في وجه قمع النظام

هكذا جاءت الانتفاضات الاخيرة ، والصدامات المسلحة التي رافقتها تجسيدا واقعيا لارقى اشكال الصراع الطبقي ، ولتؤكد بما لا يقبل الشك شكل النضال المطلوب لمواجهة نظام الشاه الدكتاتوري الدموي ، وليعبر في الوقت ذاته عن درجة الوعي الذي وصلت اليه قطاعا تلا بأس بها من الجماهير الايرانية . وهذه حالة شبيهة - مع ايماننا باختلاف الظروف وايضا مواقع اطراف الصراع ، الا اننا فقط نتمسك بجوهره وطبيعته ومن ثم احتمالات افاق تطوره - مع تلك التي عرفتها موسكو في العام ١٩٠٥ وحينها اشار لينين في مقال له تحت عنوان « دروس من انتفاضة موسكو » بقوله : « وعلينا اليوم ان نقوم بأكبر تحريض ممكن لصالح الانتفاضة المسلحة دون ان نخفي هذه المسألة تحت اية درجة تحضيرية ، ودون ان نلقي عليها اي غطاء . ان تضليل الجماهير باخفاء ضرورة الحرب العلنية الدامية كهدف مباشر للهجوم المقبل لا يعني سوى خداع انفسنا وخداع الشعب » . في الوقت ذاته يعلمنا لينين ان الشرط الاساسي لانتصار الانتفاضة هو توفر الجماهير المعبأة والمنظمة والواعية والمسلحة التي تؤمن بهدفها وتخوض النضال لكسب النصر ، دون ان تهاب التضحيات ، وتتحمل كافة اشكال التبعات المترتبة على ذلك ، ويشترط ان يجري ذلك تحت قيادة حزب ثوري متمرس ، يكون بمثابة هيئة الاركان ذات الفعالية الراقية ، والذي بوسعه ان يقود المسيرة الجماهيرية، ويوصلها الى شاطىء النصر .

وحين نلقي نظرة على الساحة الايرانية ، ونتابع بدقة تلك الانتفاضة العنيفة الدامية التي اندلعت في ايام ٧ و ٨ و ٩ من كانون الثاني الماضي ولا تزال مستمرة حتى الان ، لا بد من الاعتراف بانها حركة عفوية انطلقت بشكل تلقائي كردة فعل مباشرة على تدهور الاوضاع وترديها ، لكن من الواضح جدا انها ليست بعيدة عن نضالات القوى والتيارات اليسارية ، ناهيك عن الزعامات الدينية المسيسة والمؤطرة . وهذا ما تشير اليه الضربات التي وجهتها جماهير الانتفاضة والمواقع التي اختارتها ، فهي انتقت مراكز الشرطة ، ومكاتب حزب رستاخيز ، والمصارف والمؤسسات الاحتكارية .

لقد انطلقت الجماهير ، واشعلت الفتيل ، وبقي على القوى الثورية ان تحمل المشعل وتواصل المسيرة ، وهذا يتطلب وحدتها وتماسكها ووقوفها صفا واحدا في وجه نظام الشاه ، وللحؤول دون مساعي القوى الليبيرالية لقطف ثمار نضالات الجماهير ، واستخدامها كورقة مساوما مع الشاه .

ا . ف